الرفض في شعر عبدالكريم الكرمي

الدكتور نعيم عموري
استاذ مشارك بجامعة شهيد تشمران اهواز
Email: n.amouri@scu.ac.ir

الملخص

رَفَضَ الأدباء والشعراء والأحرار الظلم والقهر بأساليب متنوعة وتطرّقوا إلى أنواع الرفض في أدبهم من رفض سياسي واجتماعي ونفسي وغيره من أساليب الرفض؛ فكان الشاعر العربي يذّب عن قبيلته بشعره ويرفض ما تتناوله الناس على شرف القبيلة، هذه الظاهرة العربية في عصرنا المعاصر تُدرس تحت إطار الرفض؛ فشاعرنا الفلسطيني عبدالكريم الكرمي الذي شهد أحداث النكسة والخيبة العربية في بدايات الاحتلال الصهيوني، نشر أشعاره رافضاً الواقع المرير الذي يمرّ به الشعب الفلسطيني المظلوم، فكان رفضه نفسياً وسياسياً حيث تطرق إلى واقع نفسه المرير لأنّه كان يعيش بسلام في أرض الأنبياء وفجأةً انقلبت الأرض إلى جحيم، نار وقتل وتشريد وخيانة حكام أسموا أنفسهم بالسادة الأمراء حيث لا سيادة لهم ولا أمر ولا نهي في قضية فلسطين، هذا البحث من خلال منهج توصيفي-تحليلي يدرس روافد الرفض عند الكرمي ومن نتائجه غضب الشاعر على الحكام العرب الذين خانوا وباعوا القضية الفلسطينية وأنّ الشاعر يبحث عن استنهاض الشعب بأكمله في رفضه.

الكلمات الدلالية:الرفض، الشعر، فلسطين، عبدالكريم الكرمي.

Discord in the poems of AbdolkarimAl-Karami

Dr. Naeem Amouri

Abstract:

literators, poets and liberalists all have rejected tyranny in various forms, using different types of discord in their works, including political, social, spiritual, etc. The Arab poet used to defend his tribe with his poetries, denying what others might have said against the honor of his tribe. This Arabic phenomenon is explored as “Discord” in the contemporary era. AbdolkarimAl-Karami, the Palestinian poet who witnessed the initial events of Palestine’s defeat, published his poems on the topic of discord and in defense of the wronged people of Palestine. His poetic discord was political at first, later deviating towards spiritual and mental discord, as he first lived in the land of prophets, where later was turned into an inferno of fire, murder, homelessness, and the betrayal of Arab leaders, calling

themselves sires and taking no action in the Palestine matter. This research uses descriptive-analytical method to explore the types of discord in the poems of AbdolkarimAl-Karami. The results imply his rage towards the Arab rulers who sold out Palestine, and his attempt at rallying the whole population.

Keywords: Discord; Poem; Palestine; Abdolkarim Al-karami.

المقدمة

ناضل الفلسطينيون ومازالوا يناضلون لأجل القضية الفلسطينية؛ قضيية وطن وشرف، فنلاحظ الفلسطيني يقاوم بنفسه وماله وفنه وأدبه حيث سخّروا أدبهم شعرا ونثراً للقضية الفلسطينية، في هذا البحث نتطرّق إلى أحد رموز الشعر الفلسطيني المقاوم، وكان من المشرّدين من أرضهم عام (1948م) لذا عاش المعاناة، عاش الذل، وعاش التشريد، ورأى القتل، ورأى الشهداء تتساقط وبكلمة رأى الواقع المزري ورَفَضَهُ بأدبه، هذا البحث يحاول بمنهج توصيفي-تحليلي يُبيّن الرفض في أشعاره، في الواقع يغضب الشاعر تجاه أمور يراها في مجتمعه وعند ناسه ويتجاهلها الآخرون، وقد يكون الشاعر موزعا بين ثنائيتين في حياته؛ ثنائية الحرية والاضطهاد و..لهذا يلجأ الشاعر إلى أسلوب الرفض والتمرّد على جميع أنواع القتل والظلم والاضطهاد والتعسف والارهاب والعنصرية والعنجهية والطغيان، يتطرّق الشاعر إلى ظلم الطغاة الصهاينة الذين شرّدوا الشعب الأعزل، الذين قتلوا الأطفال، الذين قتلوا الكبير والصغير والذين خانوا مبادئ الإنسانية جمعاء، الكرمي يتنوّع في أساليبه الشعرية وكأنّ الكلمة عنده غضبى، تطغى على حروفها وهذا ينمّ عن نفسية الشاعر الجريحة، تتبيّن عندنا الصورة الأدبية الفنية، **هدف البحث** دراسة آليات وأنواع الرفض في شعر الشاعر عبدالكريم الكرمي في هذا البحث نحاول دراسة **أسئلة البحث** التالية:

- لماذا اتجه عبدالكريم الكرمي إلى الرفض في أشعاره؟
- ما هي الأفكار التي بَنَى عبدالكريم الكرمي أشعاره عليها؟
- ما هي الأساليب التي اتخذها الشاعر لبيان رفضه؟

فرضيات البحث:

تكمن الفرضيات في الأمور التالية:

- سبب اتجاه الشاعر إلى الرفض هو الظلم والطغيان والتعسف والعنصرية الموجودة عند الطغاة الصهاينة والمكر الذي جاءت به الامبريالية العالمية تجاه الشعب الفلسطيني الأعزل جعلت الكرمي يرفض هذا الواقع المزري.
- أفكار متعددة بنى عليها عبدالكريم أشعاره منها قضية التهويد، والغزو الثقافي، والقتل، والتشريد وغير هذا ما درسناه في البحث.

- اتخذا الشاعر أساليب عدّة لبيان رفضه وأهمها أسلوب الاستفهام والتعجب والتكرار، التقديم والتأخير والحذف.

خلفية البحث:

الشاعر عبدالكريم الكرمي مِن الشعراء الروّاد ويحق لأدبه الدراسة ولم أعثر على دراسة في موضوع الرفض على أشعاره و لكن هناك دراسة حول أدبه المقاوم، مثل مقالة:

- مقالة باللغة الفارسية وعنوانها «مضامين پايداري در شعر عبدالكريم الكرمي» لمختار مجاهد ومجتبى رحماندوست، طُبعت عام (1395ش) في مجلة أدب عرب جامعة طهران،السنة الثامنة في العدد الثاني؛ في هذه المقالة تطرّق الباحثان إلى أدب المقاوم في شعر الكرمي ولم يدرسا الرفض في أشعاره
- مقالة:« آليات الرفض فى القصيدة العربية الحديثة» لمصطفى الضبع، طبع هذا البحث في المؤتمر العلمى الخامس كلية دار العلوم، عام2002م، وتطرّق إلى تعريف الرفض؛
- ومقالة:«تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان»لفاتنة محمد حسين طبع في مجلة كلية الآداب جامعة الموصل عام2007م.
- ومقالة« أساليب الرفض في شعر ابن زيدون» لعبد اللطيف يوسف عيسى، طبع في مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية عام2010م،
- ومقالة:« الرفض السياسي في حكايات كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع» لباسم ناظم سليمان، مجلة كلية التربية / جامعة كركوك طبع في عام 2012م.
- ومقالة«الرفض في شعر أبي العلاء المعري» مجلة جامعة كربلاء العلمية عام2006م.
- ومقالة« آليات الرفض والتمرد في شعر أحمد مطر» لنضال ابراهيم ياسين، طبع في مجلة أبحاث البصرة.
- ومقالة«الرفض في شعر الجواهري من أنماطه وتجلياته»للطائي والشبلي طُبع في مجلة أهل البيت العدد العاشر.

عبدالكريم الكرمي في سطور:

هو أبو سلمى عبدالكريم سعيد الكرمي أحد شعراء المقاومة الفلسطينية البارزين في القرن العشرين. ولد عبد الكريم في مدينة طولكرم في الضفة الغربية عام 1907. وقد توزعت مراحل دراسته بين مسقط رأسه وبين السلط في الأردن ودمشق في سوريا، اذ كان يتنقل مع والده الشيخ سعيد الكرمي.عاد في عام 1927 إلى فلسطين، وعمل في التدريس في المدارس الرسمية، ونظم قصيدة وطنية أثارت حفيظة حكومة الانتداب البريطاني وأدّت إلى عزله، فانضم إلى هيئة الإذاعة الفلسطينية مساعدا للشاعر إبراهيم طوقان الذي كان مسؤولاً عن القسم الأدبي. درس القانون ومارس المحاماة في حيفا، وانغمس في العمل الوطني ضد الانتداب للدفاع عن فلسطين.لجأ في سنة 1948 إلى دمشق وعمل في الإذاعة السورية والمحاماة، كما وتفرغ للعمل الثوري ومثل

فلسطين في أكثر من لجنة للتضامن والسلم. كان أبو سلمى من أسرة علم وأدب فأبوه الشيخ سعيد من العلماء الأجلاء واللغويين الثقات وكان عضوا مؤسسا في المجمع العلمي العربي بدمشق، أما أخوه أحمد شاكر الكرمي فكان من الصحفيين العرب الرواد ومن وجوه الوطنية والقومية حتى أن دمشق أطلقت اسمه على أحد شوارعها. وبرز أخوه حسن الكرمي "أبو زياد" كراوية علامة، وحقق شهرة مدوية من خلال برنامج "قول على قول" الذي كان يعدّه ويقدمه بصوته من هيئة الإذاعة البريطانية([1]) كوكبة من شعراء فلسطين الثوريين والمناضلين كإبراهيم طوقان وعبدالكريم الكرمي وعبدالرحيم محمود حملوا راية التنوير وحثّوا الشعب على المقاومة([2]).كتب أبو سلمى قصائد جميلة عن فلسطين وجبل المكبر وعز الدين القسام وعرف بديوانه المشرد، ويعتبر الكرمي كما وصفه الشاعر محمود درويش البيدر الذي تربي عليه شعراء فلسطين قاطبة.له خمسة دواوين وثلاثة أعمال نثرية اثنان منها في سيرة أبيه وأخيه أحمد شاكر.حصل أبو سلمي على العديد من الأوسمة والجوائز، فقد نال درع الثورة الفلسطينية وجائزة (اللوتس) العالمية للأدب، كما منح اسمه وسام القدس للثقافة والفنون، وانتخب سنة 1979 رئيسا لـ اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

مؤلفاته:

- المشرد، شعر 1935.- أغنيات بلادي، شعر، طبع عام 1959. الثورة، مسرحية. - أغاني الأطفال، شعر، عام 1964. - كفاح عرب فلسطين، دراسة، عام 1964. - أحمد شاكر الكرمي، دراسة، عام 1964. - الشيخ سعيد الكرمي – سيرته العلمية والسياسية نثر – طبع عام 1973.- من فلسطين ريشتي – شعر- عام 1971. - ديوان أبو سلمى الأعمال الكاملة، بيروت 1978.

وعلى كثرة أسفاره شاعرا ومعرفا بالقضية الفلسطينية، فإنه لم يغير عنوانه الدمشقي، حتى بعد أن أغمض عينيه إلى الأبد في 21 تشرين الأول/أكتوبر للعام 1980 في الولايات المتحدة الأميركية، بين يديّ ولده الوحيد الدكتور سعيد الكرمي، الذي حرص على نقله، بناء على وصيته، إلى دمشق، التي شهدت في وداعه واحدا من أكبر مواكب التشييع في تاريخها([3]).الشاعر سَافَرَ كثيراً ليُبّين القضية الفلسطينية للعالم أجمع.

الرفض لغة واصطلاحا

الرفض لغة:«ترك الشيء ومجانبته[4]» قال إبن سينا:«الفرقان مبتدئ مِن تفريق وترك ورفض[5]» وقال إبن فارس:«رفضني فرفضته، رفضت الشيء أرفَضه وأرفُضه رفَضا ورفُضَا: تركته وفرقته[6]»

الرفض اصطلاحاً: لايخالف المعنى الاصطلاحي المعنى اللغوي؛ لأنّه يُشير إلى:«مقاومة الإرادة لدافع معيّن أو رفضها التصديق بالأمر أو تأييده والانقياد له..و قوله (لا) عند رفضه أدل على قوة إرادته من قول (نعم) شريطة أن يكون رفضه ناشئا عن دوافع غريزية عمياء[7]»أي: أن الرافض يجب أن يكون ذا مؤهلات كقوة الإرادة أو ضعفها أو فقدانها. وأما في علم النفس فيستعمل

مصطلح الرفض بمعنى نوعي، فهو أسلوب وقائي يتخذ شكل رفض اعتراف الشخص بواقعية إدراك ذي تأثير صدمي، و يرى فرويد«أنّ الرفض عملية دفاعية أصيلة تجاه الواقع الخارجي مِن خلال إنشطار الأنا في عملية دفاعية[8]» والرفض بهذا المعنى ليس عملا منكرا ولا مستهجنا، لأنّ أعظم الأعمال و أعاظم السير تكونت من نطفة الرفض ومن طاقاته([9]) وأشار آخر إلى مفهوم اجتماعي فهو موقف يُجابه فرداً أو جماعة موجودة أو سابقة لم يعد أو لم يعودوا قابلين استمرارها وقد يُواجهونها بما يمكن أن يعوضها وذكر آخرون أنه موقف موضوعي، يؤدي إليه الوعي بالضياع في واقع يكبل الفرد أخلاقياً ومادياً، فالوعي مرحلة التقويم والتساهل عن القيم الموروثة([10]) ومهما يكن فإنّ الرفض تمرّد على الواقع أو صرخة غير مباشرة؛ لتغيير واقع قد يكون سياسياً أو اجتماعيا أو اقتصاديا أو تأييد موقف بعينه.

آليات الرفض عند الشاعر عبدالكريم الكرمي

يقف الشاعر الذي يُوصف بحدة انفعاله وحساسيته للأمور أمام تجربته الشعرية؛ لينفذَ إلى دقائق الأمور ليضفي بُعداً جديداً للمعرفة والإدراك بعد أن اتقد وجدانه فيهمس إلى ظلال الواقع في حدود معرفته بعد تراجع أمنياته لاصطدامها برؤية حياتية تخالف رؤيتهن فينطلق معبرا عن الضيق والاغتراب الشعوري بتفاهة ما يرى؛ فتتولد لديه حالة الرفض([11]).

في الواقع إنّ تنامي وعي الإنسان، وإدراكه لِما يُحيط به من ظروف وملابسات يضعه في مواجهة دائمة مع الداخل والخارج على حدّ سواء، ولايمكن تحقيق المصالحة بين الإثنين إلّا من خلال المرور ببوابة الرفض أولاً، بوصفها المرشحة التي تترشح عبرها معظم القناعات والاختيارات، لذلك يُعد القبول مرحلة تالية للرفض، وإذا كان الإنسان بطبيعته ميّالاً أكثر للرفض منه للقبول، فإنّ الشاعر أولى بذلك فهو رافض بالضرورة، ورفضه يهدف بالدرجة الأولى إلى تعرية الواقع، وكشف عوامل القهر والديكتاتورية فيه، ومواجهة جوانب الضعف والاختلال بغية إصلاحها و تقويمها، وهو في ذلك كله يصدر عن تجربته الخاصة مستلهما تجربة الجماعة([12]) الأشعار الرفضية لها أطر ومقاييس و ظروف إن سنحت لها الظروف تظهر على العيان لكن في قضية شاعرنا كسر حاجز الظروف لأنّه عاش الأمرّين «فالأشعار دائماً، في خط النار بل خط القتال الأول والشهادة من جبهة التمرد السياسي[13]» الرفض في الشعر يعني معارضة النظام و أطر الحياة ومظاهرها، وأسباب هذه الظاهرة كثيرة منها ما هو ذاتي خاص بالشاعر، ومنها ما هو موضوعي أو خارجي يلقي بظلاله على الشاعر كغيره من أبناء مجتمعه، السبب الموضوعي يتعلّق بالظروف الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والبيئية([14]) يرتبط مفهوم الرفض بمفهومين آخرين متلازمين الأول هو التمرد وهو حركة فوضوية تصدر عن تجربة الفرد وتؤدي إلى الفكرة، والثاني هو الثورة وهي حركة منظمة تبدأ من الفكرة وتحاول أن تدخلها في التجربة التاريخية وأن تُشكل الفعل بما يتفق وهذه الفكرة، حتى تخلق عالما جديدا تضعه في إطاره التاريخي.([15])

ولمّا كان الشاعر صوتا معبرا عن أبناء مجتمعه ويشعر بما لا يشعر به غيره، فإن أنضج مراحل التمرد هي تلك التي يسعى فيها إلى العمل في مجتمعه ليحقق نفسه تحقيقاً أفضل في إطار الجماعة، فإذا ما تاق – قولاً وفعلا – إلى تغيير حياة الجماعة نحو الأفضل بنشدانه المثال، فقد كان هذا التمرد مصلحاً لا يتردد لحظة في بذل أغلى التضحيات وبذلك يكون محرضّاً لأبناء مجتمعه للقيام بالثورة، غير متناسين إنّ المسألة تخضع لعوامل منطقية تتعلق بالتهيؤ والإستعداد وقوة الإرادة عند الفرد والجماعة([16])إلّا أنّ ثمّة مشكلة تبرز إلى الواجهة وهي أنّ «فكرة إلتزام الأديب بقضايا مجتمعه ومشكلاته لم تلقَ التسليم من كل من يعملون في هذا الحقل، فهناك من يعادون هذه الفكرة ظنّاً منهم أن إلتزام الأديب بقضايا مجتمعه يعني بالضرورة أشتغاله بالمشكلات اليومية المعاشية. وأن هذا من شأنه أن يحط من جلال الأدب وأن يهبط بالفن من عليائه[17]» وإذا ما أراد الشاعر أن يصل بفنه إلى مرحلة ناضجة من مراحل الرفض فعليه أن يتخلص من أسر العالم الموضوعي ويبني خطابه الرافض لغويا بحيث يقوم ب(أدلجة) خطابه الفني، بمعنى أنّ خطابه يرتكز على وعي الواقع..ولا شك في أنّ نظرة الشاعر للحياة تفترض الاندماج فيها وتفهم أبعادها أولا ثم يكون الموقف الذي يتبناه منها، غير متناسين أنّ لتجربة الشاعر ولثقافته ولظروف حياته وحياة الجماعة التي يعيش بينها دور كبير في بلورة الموقف الذي ينتهي إليه([18]) في الحقيقة لم يولِ النقد القديم أهمية كبيرة للدور الاجتماعي للشعر، غير أن هذا لا يعني انفصال الشعر القديم عن حياة الناس وظروف مجتمعاتهم سواء علم الشعراء بذلك أم لم يعلموا([19]).أسباب الرفض عند الكرمي عديدة منها؛ الدول الاستعمارية الغربية، وتخاذل الحكومات العربية وضعفها، فهذان هما العاملان الرئيسان لرفض الشاعر، فأدبه «هو الاعتراض على شيء أو أمر وعادة الاعتراض على الأمور السياسية[20]» في فلسطين الأدب المقاوم التزم بالثبات والاستمرارية وتحريض المجاهدين على الصهاينة، «في الوقت الذي كان فيه اهتمام العديد من العشراء الكبار منصبا على شعورهم بالغربة واليأس، كان الوضع مختلفاً في فلسطين المحتلة كان الشعراء يواجهون عدوّاً خارجياً ومعتدياً غريباً، يتحدّون ظلمه بشعر تدور افكاره الرئيسة حول الشجاعة والاستبسال[21]» وأول مظاهر الرفض في شعره هو رفض الواقع الفلسطيني المرير:

رفض واقع فلسطين

طِر في الفضاء وهل يطيرُ ... مُطَوّقٌ قَصَّت جَنَاحَيه يَدُ الصيادِ...
تتلمس الماضي فتبصر ظِلله ... خلف الدموع على شفار العادي
كانت تزين بروده سمر القنا ... فتعي السنون عجائب الأبراد
ماتملكون؟ أ في النفوس حميةٌ ... أبقت الأسياف في الاغماد
لو كان في تلك النفوس حمية ... عربية شدت الاصفاد
لو كان في تلك الانوف بقية ... لتحطمت حلقات الاستعباد
لو تسمعون صدى القبور وجدتم؟ ... جنباتها تبكي على الاجداد[22]

سبب إنشاد هذه القصيدة جاء في بدايتها وهو بيع الأراضي إلى الإسرائيليين، هذه القصيدة التي أسماها "حمام الوادي" يشير فيها إلى قضية بيع أراضي وادي التيان إلى الإسرائيليين الذين قتلوا

وهجّروا الفلسطينيين من تلك الأراضي وما حولها ظلماً وجوراً وقتلوا الشعب الفلسطيني الأعزل، رَمَزَ شاعرنا إلى الشهداء بالحمام واستحضر الماضي المشرف للأمة العربية ويستذكر انتصاراتهم والتي كانت مبنية على القوة لا على الضعف ثم يرفض الهوان والضعف الذي اتصفت به الأمة العربية حيث تستجدي السلام بل السلام يفرض نفسه بالقوة على الطغاة، ثم يرفض الواقع المرير الذي مرّت به وعاشته وتعايشت معه العرب أيام الاحتلال الإسرائيلي، الشاعر في رفضه يستخدم أسلوب الاستفهام ثم التكرار؛ "نفوس" و"حمية" و"لو كان في تلك"، هذا التكرار في الرفض يشدد على رفض الشاعر الواقع الذي يعيشه العرب « والشاعر عبر هذه الزاوية ينقلنا من عمق الداخل (ذاته) إلى عمق الخارج (مجتمعه)، مما يتيح لنا أن نرى ما نراه ممرا برؤيته ومحملا بوعيه، حيث هو يدخل التجربة طوعاً أو كرها فيجد نفسه فى موقع مسئولية الكشف. وفي الجانب الثاني الخاص ينقلنا الشاعر من عمق الخارج إلى عمق الذات في رؤية لخلفية الصورة، صورة الذات ممررة عبر تجاربها الخاصة. إحصائيا يأتى القبول فى مرحلة تالية للرفض، حيث ما يقبله الشاعر أقل بكثير مما يرفضه[23]» هذا صحيح ما ذهب إليه الاستاذ مصطفى الضبع لكن شاعرنا في أشعاره كان أكثر ما يرفضه مما يقبله أي: إنّه عاش التشريد والحرمان والذل والظلم وشعر بالذل بعد أن كان يتمتّع بخلفية العزة والإباء والكرامة.وفي قصيدته "يا فلسطين" يرفض شاعرنا الذل ويستنهض فلسطين إلى الثورة والقيام واستذكار الفتح الإسلامي على مشارف جبل المكبر:

استنهاض الشعب

ثوري *فلو فرش الذين طغوا على*	طرق الجهاد أسنة ونصولا
لا بأس إن نضجت دما جنباتها	فاليوم لا يغدو دم{دماً} مطلولا
إيهٍ فلسطين اغضبي وتحرري	ضاعت حقوقك بين قال وقيلا
مُدي القلوب على الظبى و تبسمي	تجدي على تلك الحدود فلولا[24]

يخاطب الشاعر الشعب الفلسطيني بكافة أطيافه على الثورة ويتمرّد على الواقع المُزري ويأتي بتعابير تحمل في طياتها الرفض ك"طغوا" و"الجهاد" و"أسنة" و"نصول" و"الغضب" و"التحرير" و"الضياع" كل هذه المفردات ويُركبها الشاعر في إطار الأفعال الأمرية "ثوري" و"اغضبي" و"تحرري" و "مُدي" فنحلاحظ في حثّه على الجهاد يستذكر الصعاب ومع هذا يدعو على الجهاد والشهادة ثم يدعو إلى غضب عام كما يدعو إلى التحرر ويصرخ بصوت عال: ضاعت حقوقك بين قال وقيلا، فنلاحظ شاعرنا انّه يرفض الواقع المُر الذي يمرّ به الشعب الفلسطيني، ثم يأتي بمفارقة لطيفة جدا نَمَت من رفضه وغضبه، عادة القلوب لو عُرضت على السيوف تأتي بالجراح والدم والوجع وليس التبسم، ولكنه يجد الشهادة فوزا عظيما لذا يخاطب الشعب ويدمرهم بالتبسم ويؤكد التفاؤل بالنصر وسيتم ذلك بيد أحفاد فلسطين وهذا ما حرّك الشعراء الفلسطينيون، وهو العامل الذي جعل الشعراء تحثّ الشعب على المقاومة والكفاح([25]) نلاحظ الكرمي في هذه الأبيات شاعراً رافضاً ومحثاً الشعب على العدو الغاصب. وفي أبيات أخرى يصرخ الشاعر على الشباب:

رفض الذل

يا شباباً يمشون دون قلوبٍ ... وعقولٍ كأنّهم أنصابُ
إمحوا التراب عن جباهكم السّ ... ودِ فقد عفر الجباه الترابُ
ثم سيروا إلى الكرامة والمجد ... ولو سارت الرُّبى والهضابُ
ليت شعري متى يجيءُ زمانٌ ... في فلسطينَ والشبابُ غضابُ[26]

الشاعر في هذه الأبيات يريد أنّ الشباب قد تناسوا قضيتهم، فلا قلب لهم ينبض بها، ولا عقل يتدبر تحريرها، ولولا علو التراب على جباههم لما غدت ضحية من واقعها إذ عفرتها نقاوة التراب و غدا بها شيء من الحياء، والعرب تكنى عن الحياء بالجباه، ولذلك خصّها الشاعر بالنقاوة والطهر لأنّ التراب المقدس قد طهّر صاحبه وليس الرضوخ والتسليم وقد جعل الشاعر من الشباب رمز الثورة والتحرير يرفض الشاعر الحياة الرغيدة برمّتها للشباب ويدعوهم إلى الكفاح ويخصّ الشباب دون غيرهم لأنّهم أهلٌ للكفاح ويدعوهم إلى الكرامة والمجد ثم يتحسّر على زمان لمّا يجيء بعدُ وهو زمن الغضب والثورة العارمة؛ ففي طيات هذه الأبيات الاستنهاضية للشاعر نلاحظ الرفض والدعوة إلى الشهادة في سبيل الوطن وإن الشهيد الفلسطيني يعلم وطنه وأهله بأنه سيعود ويرفع صوته وتتحرك روحه، ويخترق الجغرافيا البعيدة، لكي يكون قريباً من وهج النضال، ويخبر بتحوال البراكين إلى ثورة والرماد إلى حجر يسقط على المحتلّ، في مشهد أسطوري، وكأن الرماد مطر ينزل في سكون على الأراضي المحتلّة؛ لقد كان غياب أبطال فلسطين لأجل أن يحيا وطنهم، وعندما يتحدث الشهيد بإيحاء المطر، فلكي يذهب بعيداً بعشقه وتمسكه بالأرض([27]). الدعوة للغضب مِن أهمّ سمات الأدب الرفضي في شعر عبدالكريم الكرمي. وفي قصيدة "لهب القصيد" يرفض الشاعر الذلة والهوان وتخاذل العرب على أنفسهم وتطاولهم على الشعب الفلسطيني ويؤكد الشاعر لهم خسرانهم:

ذل ملوك العرب

أنشر على لهب القصيدِ ... شكوى العبيد إلى العبيدِ
شكوى يرددها الزمانُ ... غداً إلى أبد الأبيدِ
قالوا: الملوك وإنهم ... لا يملكون سوى الهبيدِ
دُكت عروش زيّنوها ... بالسلاسل والقيودِ
سُحقاً لِمَن لا يعرفون ... سوى التعلل بالوعودِ
وأذلّهم وعد اليهود ... ولا أذلّ من اليهودِ[28]

الشاعر يجسد الرفض في عبودية الحكام والملوك وخواية سلطتهم ووعودهم الكاذبة وخضوعهم لوعود بريطانيا وإذلالهم بها، القصيدة السياسية المعبرة عن رفض الهزيمة والخنوع، الصارخة في وجه التخاذل العربي والدولي، والذين تركوا فلسطين تموت أمام غزو العصابات الصهيونية وأطماع أساطيرهم وخرافاتهم المسلحة. هي القصيدة التي انطلقت من أزقة المخيمات حاملة قوافي المقتولين والمهجرين في البر والبحر والسجون، ومرفرفة بأرواح المعدومين في مذبحة تتلو مذبحة، من دير ياسين حتى صبرا وشاتيلا والدم لا زال يجري هنا على كل حاجز عسكري

وشارع ورصيف وفي غزة المحاصرة. هذه القصيدة صرخة فلسطين المدوّية على العرب وعلى الغرب؛ وإذا كان لكل شاعر قصيدة تنتسب إليه ويُنسب إليها، فإن قصيدته، قبل النكبة، هي من غير شك "لهب القصيد" ذات الأربعة والستين بيتاً، والتي ما إن قالها حتى شاعت في عموم فلسطين، وسرعان ما انتشرت في الوطن العربي الكبير. ساعد على ذلك إيقاعها السريع الذي واتاه مجزوء الكامل، وقافية الدال المكسورة مسبوقة بالياء الممدودة أو الواو. ووحدتها العضوية الموضوعي بحكم انضباط مسارها، على ما فيها من هياج وتحريض. مع وتيرة الغضب المتصاعد، إثر ثورة 1936 العظيمة التي توجها الشعب العربي الفلسطيني بالإضراب التاريخي الطويل المشهور. وأنهاها الحكام العرب بدعوة الشعب إلى الهدوء والركون إلى ثقة "الصديقة بريطانيا". فلم يكن ذلك الحدث الكبير مناسبة علق عليه أبو سلمى قصيدته الشهيرة، ولكن المناسبة ـ على أهميتها ـ كانت ذريعة لتفجير هذه الطاقة الشعرية المتساوقة مع غضب الشعب. إنها قصيدة حديثة، حتى وهي في بهائها الكلاسيكي، من حيث هي نشيد عام قادر على أن يشيع في الملتقى بوصفه زفرة شخصية. ولعل هذا ما يفسر صمود هذه القصيدة للزمن بعد عشرات السنين ووفاة الشخصيات الواردة أسماؤها فيها. وإذا صدقت نبوءة المتبني بتحويل الزمان إلى أحد رواة قصائده، فهذا هو شأن الشعر العظيم. إذ ليست الشكوى وحدها ـ كما وردت في قصيدة أبي سلمى ـ هي الباقية إلى الأبد الأبيد، بل الشعر بما هو شعر. ولكن هذا الشعر وهذه الشكوى قد تداخلا فإذا هما من جبلة واحدة([29])

نلاحظ الصخب يتفجّر فيها حيث يصف حال الفلسطينين وهم عبيد في أيدي الصهاينة ويرى ملوك العرب أنهم عبيد حيث الفلسطيني يشكو همّه إلى ملوك العرب وهم عبيد الإنكليز، ثم يعتبر هذه الشكوى وصمة عار في جبين الأمة ثم يستنكر على ملوك العرب لقب "الملوك" ولا يعترف بهم كملوك ثم يرفض واقعهم المزري وانهم أصبحوا أذلاء بيد الأذل منهم وهم الصهاينة. ونشاهد الصخب فيها حيث يقول:

إنّي لأرسلها مجلجلةً	إلى الملك السعودي
أستارُ «مكة» كيفَ	تسدلها على الخصم اللدودِ
تأبى الصحارى أن يدنس	رملها «فيلبي» و«مودي»
لن تطهر الدنيا وفيها	الانكليز على صعيدِ
لو كان ربّي إنكليزياً	دعوتُ إلى جحودِ
أ محللاً ذبح القريب	محرّماً ذبح البعيدِ
تلهو بصيدك، لا أبالك	في السهولِ وفي النجودِ
والأهل أهلك يُقتلون	ويُنشرون على الجرود[30]

غضب ورفض يتفجران على رؤوس ملوك العرب وبدأها بالملك عبدالعزيز آل سعود حيث أرسل بالاشتراك مع ملوك العرب نداء للشعب الفلسطيني يدعوهم إلى التراجع عن مواضعهم حتى إشعار آخر ويخاطبه ويستخدم في خطابه الأسلوب الاستفهامي ويُوبّخه على ركونه لأوامر إنكليز ويعتبرهم الشاعرُ رجساً، كما يدعو إلى رفض استقبالهم في مكة المقدسة مِن قِبَلِ آل سعود يتصاعد عنده الصخب والغضب ويثور موبخا الملك السعودي «أ محللاً ذبح القريب..» إلى آخر

الأبيات، فكثرة الأسئلة الاستفهامية في الرفض تدلّ على تحريك الوعي للتفكير في الأسئلة ومحاولة الاجابة عليها، ويُعدّ الاستفهام الاستنكاري أحد أهمّ أشكال الاستفهام المطروحة عبر النص الشعري الجديد([31]) وهذا ما تطرّق إليه الشاعر في رفضه للواقع المشين في بدايات الإحتلال الصهيوني. وفي غضبٍ عارمٍ تجاه الأردن وملكها الملك غازي يخاطب عبدالكريم الكرمي ذاك الملك:

وأبو طلال في ربى	عمان يحلم بالحدود
أقعد فَلَسْت أخا العُلى	والمجد وانعم بالقعود
المجد أن يحمي الرصاص	على المدى حمر البنود
واحكم على الشطرنج	ليس على الفيالق والجنود
لهفي على الأردن كيف	يسير كالرجل الطريد
في ضفتيه مآتم	قامت على الماضي المجيد
يا دولة الأصنام خير	منك مملكة القرود[32]

الشاعر في أبياته هذه يستخدم الاسلوب التهكمي المليء بالغضب حيث يخاطب أبا طلال ويستخدم أسلوب السخرية اللاذعة حول قضية الحدود مع الكيان الصهيوني وينتزعه من العُلى والمجد « أقعد فَلَسْت أخا العُلى ...» شاعرنا يرفض حالة الذل والخنوع والخضوع أمام الكيان الصهيوني ويطالب بالقتال وأن يحمي الرصاص الحدود ثم مرّ أخرى يتهكم على الملك ويسخر منه ويأسف ما حلّ بالأردن وكيف أصبح ويتحسّر على ماضيه المجيد، فالأبيات كلها صخب ورفض. وحول اليمن خاطب الشاعر ملكها:

عرّج على اليمن السعيد	وليس باليمن السعيد
واذكر إماماً لا يزال	يعيش في دنيا ثمود
وسيــوفه أثرية	يا تعس هاتيك الغمود
تفنى الحياة وقومه	ما بين قات أو هجود[33]

رفض الشاعر ما ذهب إليه حكام العرب من تخاذل وخنوع ومنهم الإمام يحي حميد الدين ملك اليمن الذي يعيش في حالة متناسي آلام الشعب الفلسطيني ويفتخر بمجد تأريخه العريق ويلهو بأيام مضت وكأنه هو وشعبه منقطع تماما عن الأوضاع السياسية وما ينزل بفلسطين من كوارث. وفي خطاب عام لملوك العرب يقول الكرمي:

إيه ملوك العرب لا	كنتم ملوكاً في الوجود
هل تشهدون محاكم التفتيش	في العصر الجديد
قوموا انظروا القسام يشرق	نوره فوق الصرود...
يا من يعزون الحمى	ثوروا على الظلم المبيد
بل حرروه من الملوك	وحرروه من العبيد[34]

في تحسّرٍ ملؤه الضياع على ملوك العرب الذين أضاعوا فلسطين يدعو الشاعر عليهم بالعدم ثم يشير إلى الشهيد القسام والشهداء الذين تلوه وفي نهاية القصيدة يوجّه الشاعر خطابه إلى الشعب

ويعلن اليأس من الملوك، يدعو الشعوب العربية على الثورة على ملوكهم لتحرير فلسطين التي ضاعت من بين أيديهم، كما يدعوهم إلى التحرير من الملوك الذين يصرّح أنّهم عبيد وليس ملوكاً، هذه القصيدة مليئة بالتكرار وكما نعلم «تسهم طبيعة الشعر العربي في إحداث التكرار على نحو ملحوظ؛ فبنيان الشعر نفسه قائم على نمطية منه، وليست بحور الشعر، والتفاعيل المكوّنة لها، ثم حرف الروي الذي يجب التزامه إلّا تكراراً واجب الالتزام، بل إن الخروج على نسقها المتكرر يخرج القصيدة من باب الشعر الذي جرتْ عليه أساليب العرب، ثم إن المهاد الذي بُني عليه وزن البيت وموسيقاه، وهو الإيقاع متكرر وجوباً [35]» في هذه القصيدة التي رفض الشاعر الضعف العربي المتمثّل بالزعماء والملوك، نلاحظ انّه يمد يد العون إلى الشعوب العربية ويدعوهم إلى زحف لتحرير الأرض المحتلة وذلك بسبب نداء الذل الذي كتبه زعماء العرب وأذيع من الراديو في عام(1926م)حيث جاء في البيان:

«إلى أبنائنا عرب فلسطين. لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين، فنحن مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله. ندعوكم للإخلاد للسكينة. حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم[36]»

هذا البيان الذي سبّب ثورة فلسطين عام (1926م) أيضاً سبّب إنشاد هذه القصيدة التي سُمّيت بالقصيدة الممنوعة آنذاك لرفضها الواقع المرير الممهد لضياع فلسطين ولتشريد شعبه. وفي قصيدة "الدماء تصيح" يستحضر الشاعر في رفضه شخصية صلاح الدين الذي حرر فلسطين من الصليبيين:

التمسك بالماضي

أختَ صلاح الدين عشتِ حُرّةً	تَأبى لكِ العَلياء أن تُهوّدي
دعي عصابة اللصوص جانباً	واعتمدي على بنيك اعتمدي
خَلِّي انتداب القوم أو إرشادهم	فالثورةُ الحمراءُ خيرُ مرشدِ[37]

في هذه القصيدة التي زخَّ فيها الشاعر التراث التاريخي المجيد، تعمّد في رفضه تكرار بعض المفردات التي تشير إلى رفضه مثل "حرّة"، و"تأبى"، و"العَلياء"، و"الثورة الحمراء" كل هذه المفردات تدلّ على رفض الواقع الحاضر والدعوة إلى الماضي المجيد، فعوامل الرفض «تكون متنوعة في انعكاسها عند الفرد صورة للمجموعة ومهما كانت موضوعية الرفض فإنه يمكن تجزئة محيطه إلى ثلاثة وجوه مرتبطة وملتحمة ببعض يتمثل الوجه الأول في إطلالة الرؤية الكونية للرفض بما تشمله من اكتشاف لمعاني الحياة والموت ومنزلة الإنسان في الوجود. أما الوجه الثاني فيمثل مواقف الرفض من الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي[38]» فالشاعر ركّب عوامل الرفض في قصيدته ودعاهم إلى ثورة حمراء بَدَلَ إرشاد ملوك العرب لأبناء َفلسطين. والوطنية التي يريد بها رفض الواقع لاحظناها في أشعار الكرمي، ففي الواقع «الوطنيّة عاطفة نبيلة يستشعرها المواطن تجاه وطنه من خلال مجموعة من الروابط الروحيّة

التي تتنامى في داخله وتنعكس في سلوكه[39]» هذا السلوك الذي قاد شاعرنا إلى الرفض في أشعاره، فهو يُعتبر من الروّاد في شعره النضالي. فرفض عبدالكريم رفض تفاؤلي ولا ينمّ عن تشاؤم لحثِّ الشعوب العربية على المقاومة، والتفاؤل «نشاط فكري مؤثّر، يقاوم أسباب الضعف التي تواجه الأمّة، إذ ينبّه إلى الخطر المحاط بها، ويتخطّى انكسارات الواقع إلى أبعاد تحريريّة خصبة تندرج في إطار ازدياد الوعي الوطني، في ضرورة تحقيق النصر[40]»شاعرنا رأى مرارة التشريد، رأى الضحايا، رأى الذل ومع هذا إنّه متفائل تماما في النصر، النصر القادم بإن الله تعالى.

النتائج:

في ختام البحث نتوصل إلى النتائج التالية:

- اتجه الشاعر عبدالكريم الكرمي إلى الرفض بسبب الظلم والطغيان والتعسف والعنصرية الموجودة عند الطغاة الصهاينة والمكر الذي جاءت به الامبريالية العالمية والخيانة الكبرى التي قامت بها الدولة البريطانية تجاه الشعب الفلسطيني الأعزل جعلت الكرمي يرفض هذا الواقع المزري.
- بَنَى الشاعر أفكار متعددة في الرفض منها قضية التهويد، والقتل، والتشريد وذم ملوك العرب واليأس منهم، ودعوة الشعوب العربية إلى النهضة.
- اتخذا الشاعر أساليب عدّة لبيان رفضه وأهمها أسلوب الاستفهام والتعجب والتكرار، التقديم والتأخير والحذف.

المصادر والمراجع:

1- مجاهد، مختار، مجتبى رحماندوست(1395ه.ش) «مضامين پايداري در شعر عبدالكريم كرمي»، مجلة أدب عرب، سنةالثامنة، العدد الثاني.
2- علوش،ناجي،(1979م) المقاومة العربية في فلسطين، عكا، موسسة الاسوار،طبعة ثانية.
3- الكرمي، عبد الكريم(1973م) الشيخ سعيد الكرمي، سيرته العلمية والسياسية، سورية، دمشق،المطبعة التعاونية.
4- الكرمي، عبدالكريم(1978م) ديوان أبي سلمى،لبنان، بيروت، دارالعودة.
5- إبن منظور،(1995م) لسان العرب، تحق عبدالله الكبير وآخرون، مصر، القاهرةف دار المعارف.
6- ابن فارس،(1979م) معجم مقاييس اللغة، دار الفكر العربي للطباعة و النشر، بيروت، ط.
7- الحناشي، يوسف (1984م) الرفض ومعانيه في شعر المتنبني، ليبيا، طرابلس، الدار العربية للكتاب.

8- پورممتـــاز، علیرضـــا(1372ش)، فرهنـــگ اصـــطلاحات چـــاپ ونشـــر،جلد اول، تهران،موسسه نمایشگاههای فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی.
9- اليسوعي، كامبل روبروت(1996م)،ط1، بيروت ،مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر.
10- الضبع،مصطفى(2002م) آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة،المؤتمر العلمى الخامس– كلية دار العلوم.
11- الكيالي،مصطفى(1975م) الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ط2، لبنان، بيروت، الموسوعة العربية للدراسات والنشر.
12- بوعديلة، وليد(2009م) شعرية الكنعنة، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن.
13- دحبور،أحمد(2007م) قراءة في ديوان أبي سلمى عبد الكريم الكرمي، مجلة موسسة فلسطين للثقافة.http://www.thaqafa.org
14- الدروع، قاسم (1999م): نحو تربيّة وطنيّة هادفة، عمان، المطابع العسكريّة.
15- الضمور،عماد (2014م)«تجليّات المعاناة في شعر خليل زقطان»، مجلة النجاح للأبحاث، المجلّد 28، العدد 4.

الهوامش

[1]-.(مجاهد ورحماندوست،1395ه.ش:232)
[2]-(علوّش،1979م:33)
[3]-(الكرمي، 1973م:25).
[4]-(إبن منظور، 1955م: مادة:ر.ف.ض)
[5]-(إبن سينا،د.ت:206)
[6]-(إبن فارس،1979م: مادة:ر.ف.ض)
[7]-(صليبيا،1979م:618/1)
[8]-(بلانش،1982م:262)
[9]-(قطوس،1998م:163)
[10]-(الحناشي،1984م:49-50)
[11]-(عيسى،2010م:2)
[12]-(محمد حسين،2011م:190)
[13]-(شكري،1979م:351)
[14]-(الهيتي،1986م:62)
[15]-(مكاوي،1964م:123)
[16]-(المسّاوي،1994م:240)
[17]-(إسماعيل،1974م:14)
[18]-(الطائي، و حربي نعيم محمد الشلبي،د.ت:156)
[19]-(الشبلي،2006م:178).
[20]-(پورممتاز،1372ش:359)

[21]-(اليسوعي، 1966،ج1، :142)
[22]-(الكرمي،1978م:14) في بداية قصيدة "حمام الوادي" يشير الشاعر إلى قضية بيع أراضي وادي التيان
[23]-(الضبع،2002م:2)
[24]-(الكرمي،1978م: 17)
[25]-(الكيالي،1975: 315)
[26]-(الكرمي،1978م: 19)
[27]-«بوعديلة، 2009، 308»
[28]-(الكرمي،1978م: 21)
[29]-.(دحبور،2007م:3)
[30]-(الكرمي،1978م: 21-22)
[31]-(الضبع، 2002م:9)
[32]-(الكرمي،1978م: 22)
[33]-(نفسه:22)
[34]-(نفسه:25)
[35]-(عاشور، 2004، 32)
[36]-(الكرمي،1978م: 22)
[37]-(نفسه:27)
[38]-(الحناشي،1984م:51)
[39]-(الدروع، 1999م: 25).
[40]- (الضمور، 2014م: 208).